لقد رفضت الاشكال الاخرى للاستعمار الاستيطاني أيضا اللجوء الى عمل السكان الاصليين . فعندما فشل مستوطنو الولايات المتحدة الاوروبيون في فرض العمل الزراعي على الهنود الامريكيين ، لجأوا عوضا عنهم الى استيراد العبيد من افريقيا ، وقاموا بالمجازر ضد السكان الاصليين ، دافعين بالبقية الباقية منهم الى معسكرات الاحتجاز . ومرة أخرى ، في استراليا ، لم يستغل السكان الاصليون البدائيون من أجل العمل ، بل استئصلوا فعلا بواسطة المذابح التي دبرها المستوطنون البريطانيون*. ولكن في حالات الولايات المتحدة واستراليا ، وحالات دموية اخرى كثيرة في الابادة والاستئصال تدمغ تاريخ الكولونيالية الغربية ، فان جعل المستوطنات مربحة تطلب ان لا يستخدم المستوطنون العمل المحلي ، لان مقاومة السكان المحليين ، أو عوامل أخرى ، جعلت تكيفهم مع دور العبد أو المستخدم باهظ الثمن أو غير عملي على الاطلاق .

تتميز الصهيونية برفضها استخدام العمل « الوطني » في فلسطين عندما كان استخدام العمال العرب ، لا المهاجرين ، مربحا اكثر . لقد كان الفلاحون الفلسطينيون مزارعين مهرة ، على عكس معظم المهاجرين من اوروبا المدينية ، وكان من الممكن استئجارهم بأجور أقل . ولاجل ذلك فان مزارع رابطة الاستيطان اليهودية الفلسطينية (بيكا) ، التي كانت مدعومة من قبل مبرة البارون ادموند دي روتشيلد منذ ١٨٨٢ ، قد استخدمت دائما العمال العرب وحتى العشرينات من هذا القرن . ولم تقتنع هذه المزارع باستخدام اليهود عوضا عن العرب الا بعد ضغوطات كبيرة من الاتحاد العام للعمال اليهود ، الذي وصل تحريضه الى حد طلب تدخل البوليس في مناسبة واحدة على الاقل ، وبواسطة السياسة المنهاجية للوكالة اليهودية في اقامة مستوطنات للعمال بالقرب من مزارع رابطة الاستيطان اليهودية الفلسطينية والاصرار على استخدامهم . وفي عام ١٩٣٠ ، أعلنت سلطة من الوكالة اليهودية ان « نقل العمال اليهود الى القرى القديمة [مزارع رابطة الاستيطان] كان مصدرا لشغل الهيئات التنفيذية الصهيونية الشاغل ، التي نجحت مؤخرا في تثبيت حوالي ٦٥٠٠ عامل في هذه المراكز ... »(٤).

لقد كانت أسباب الصهيونية للاستهانة بمبدأ الربح في الاستخدام أسبابا ماكرة وسياسية . وقد كتب دافيد بن جوريون بعد ذلك بعقود قائلا « ان السبب في انتصار العمل العبري [أي مقاطعة العمل العربي] خلال الهجرة الثانية [١٩٠٤ — ١٩١٤] وفترة الانتداب يعود الى ان كل صهيوني ملتزم قد فهم أنه بدون العمل اليهودي لن يكون هنالك دولة يهودية »(٥). ولن يكون ممكنا ايجاد أعمال للمهاجرين اليهود الجدد الا باستبعاد العمال العرب الفلسطينيين من الاستخدام على الاراضي التي يكتسبها الصندوق القومي اليهودي والمشاريع التي يملكها صهاينة ، ولا يمكن تحقيق مستوى معيشة عال بشكل اصطناعي للعمال اليهود الا بمنع مزاحمة العمال العرب — مستوى معيشة ضروري لجذب المهاجرين المعتادين على مستويات الاستهلاك الاوروبية والاحتفاظ بهم . (عام ١٩٣٦ ، على سبيل المثال ، كان معدل دخل الفرد اليهودي في فلسطين ٤٤ جنيها فلسطينيا ، ومعدل دخل « غير اليهود باستثناء الاشخاص البريطانيين في الجيش والحكومة » ، أي في الواقع دخل العربي ، ١٧ جنيها فقط ((٦)**.

---

* خلال فترة وظيفته الطويلة ، كان للورد بلفور ، صاحب الاعلان المشهور الذي وعد برعاية بريطانية **لوطن قومي يهودي** في فلسطين ، ضلعا أيضا في شؤون استراليا وجنوب افريقيا . وبالنسبة لبلفور فان حقيقة ان السكان الاستراليين الاصليين قد « انتهوا » كانت ظاهرة ملائمة وهي ، كما قال ، « حتى لو اتهمت بالتجرد من الانسانية ، فانني لا استطيع أن أجدها في قلبي للتأسف عليها »(٣).

** كان الجنيه الفلسطيني يعادل الجنيه الانكليزي ، ويساوي في هذا الوقت حوالي ٥ دولارات امريكية .